

OSMANLI DÖNEMİNDE HALEP’TEKİ VAKIF KURUMLARININ EKONOMİK VE SOSYAL KALKINMADAKİ ROLÜ: 19. YÜZYIL ŞER‘İYYE SİCİLLERİNE DAYALI BİR İNCELEME

Dr. Muhammed ALSHAMİ¹

ÖZET

Bu çalışma, İslam medeniyetinin tarihî gelişim süreci içerisinde vakıf kurumunun üstlendiği merkezi rolü analiz etmeyi amaçlamaktadır. Özellikle Osmanlı Devleti döneminde vakıf müesseseleri kurumsal bir nitelik kazanmış, devlet tarafından güçlü bir biçimde desteklenmiş ve toplumsal yapının iktisadî ve sosyal alanlarında belirleyici bir işlev üstlenmiştir. Böylece vakıflar, birçok durumda devlet kurumlarının tamamlayıcı bir unsuru dönüşmüş ve kamu hizmetlerinin yürütülmesinde önemli bir paya sahip olmuştur.

Bu çerçevede Halep şehri, vakıf faaliyetlerinin en yoğun biçimde gözlemlenebildiği örneklerden birini teşkil etmektedir. Tarihin en eski yerleşim merkezlerinden biri olan ve stratejik konumu itibarıyla her dönem ticari ve kültürel bir cazibe merkezi haline gelen Halep, Osmanlı idaresi altında bu karakterini daha da güçlendirmiştir. Vakıfların katkısı yalnızca ekonomik ve sosyal alanlarla sınırlı kalmamış; şehirleşme, imar ve mimari gelişim süreçlerinde de belirleyici bir rol oynamış, bu sayede kentin fizikî sınırlarının genişlemesine önemli ölçüde katkı sağlamıştır.

Araştırmada, Halep Şer‘iyye Mahkemesi’ne ait muhasebe defterlerinden, özellikle 177 numaralı şer‘iyye sicilinden elde edilen veriler incelenmiştir. Bu belgeler, dönemin vakıf kurumlarının yapısını, faaliyet alanlarını ve toplumsal fonksiyonlarını yansıtan birincil tarihî kaynak niteliğindedir.

Elde edilen bulgular, Osmanlı toplumunda vakıf müessesesinin derin ve çok yönlü bir etkiye sahip olduğunu ortaya koymaktadır. Halep örneği özelinde, şehrin ticari yapısının vakıf yöneticilerini vakıf gelirlerini sürdürülebilir kılmak amacıyla ticari yatırımlara yönlendirdiği görülmüştür. 177 numaralı şer‘iyye sicilinin muhasebe kayıtlarının analizi, vakıf gelirlerinin önemli bir kısmının çarşı ve pazar gibi ticari alanlardaki yatırımlardan sağlandığını; harcamaların ise çoğunlukla inşa, bakım ve onarım faaliyetlerine tahsis edildiğini göstermektedir. Bu bulgular, çalışmanın temel varsayımını desteklemekte ve vakıf kurumunun Osmanlı toplumunda sosyoekonomik hayatın şekillenmesinde vazgeçilmez bir unsur olduğunu açıkça ortaya koymaktadır.

Anahtar Kelimeler: Halep Şehri, Vakıf Kurumu, Şer‘iyye Sicilleri, Osmanlı Dönemi, Sosyoekonomik Kalkınma

¹ İstanbul Üniversitesi, ORCID: 0009-0003-4420-1998 m.abdulaziz.alshami@gmail.com.

THE ROLE OF WAQF INSTITUTIONS IN ECONOMIC AND SOCIAL DEVELOPMENT: A STUDY BASED ON THE SHARIA COURT RECORDS OF ALEPPO IN THE 19TH-CENTURY OTTOMAN PERIOD

ABSTRACT

This study aims to shed light on the significant role played by the *waqf* (endowment) institution throughout the history of the Islamic civilization, with particular emphasis on its remarkable development under the Ottoman Empire. During the Ottoman era, *waqf* institutions gained a well-defined organizational structure and were granted a central role within society. They functioned as complementary entities to state institutions, contributing substantially to both the economic and social life of the empire.

This pivotal role of *waqf* was perhaps most clearly manifested in the city of Aleppo — a historic urban center that bore witness to some of the earliest civilizations and, due to its strategic geographical position, served as a major cultural and commercial hub throughout its long history. Under Ottoman rule, Aleppo's significance as a center of commerce and civilization further intensified, with *waqf* institutions playing an active part not only in the economic and social domains but also in urban development. The city's physical expansion was largely facilitated by *waqf*-funded constructions and endowments.

The research draws upon primary data from the *Sharia Court Registers* (*Şer'iyeye Sicilleri*) of Aleppo - specifically Register No. 177 - which constitutes a valuable historical source reflecting the administrative, financial, and social dimensions of *waqf* activities in the city. Through a detailed analysis of these accounting records, the study seeks to uncover the nature and scope of *waqf* operations and their broader impact on Ottoman society.

The findings, supported by both archival evidence and historical references, demonstrate that *waqf* institutions had a profound and multifaceted influence on Ottoman communities. In the case of Aleppo, the city's strong commercial character encouraged *waqf* administrators to invest in market activities as a means of generating sustainable revenues to finance charitable and religious expenditures. An examination of Register No. 177 reveals that the majority of *waqf* revenues originated from investments in commercial markets, while most expenditures were allocated to construction and maintenance projects. These results substantiate the central hypothesis of the study - that *waqf* institutions played a vital and enduring role in shaping the social and economic fabric of Ottoman society.

Keywords: Aleppo, Waqf Institution, Sharia Court Registers, Socioeconomic Development

المؤسسات الوقفية ودورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية: دراسة من واقع سجلات المحاكم الشرعية في حلب خلال القرن التاسع عشر

الدكتور محمد الشامي

تهدف هذه الدراسة الى تسليط الضوء على الدور الكبير الذي لعبه الوقف في تاريخ الامة الإسلامية، والذي شهد تطورا ملحوظا في ظل الدولة العثمانية التي عنت بمؤسسات الوقف بشكل كبير واعطتها دورا فعالا في المجتمع، الشيء الذي جعل مؤسسات الوقف تمارس دورا رديفا لمؤسسات الدولة على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي.

هذا الدور الكبير الذي مارسه الوقف لربما تجلى في اجل صوره في مدينة حلب، المدينة التاريخية التي كانت شاهدة على أقدم الحضارات التاريخية والتي كانت عبر تاريخها الطويل ونظرا لموقعها الجغرافي الهام مركزا حضاريا وتجاريا رائدا، الشيء الذي برز بشكل كبير في ظل الدولة العثمانية.

الشيء الذي ساهم الوقف فيه بشكل كبير تخطى حدود المساهمة الاقتصادية والاجتماعية، فشمّل الجانب العمراني فاتسعت رقعت المدينة بشكل كبير بفضل المنشآت الوقفية.

وقد تم الاستعانة في هذه الدراسة بدفاتر المحاسبة لسجلات المحاكم الشرعية لمدينة حلب، ((وبالتحديد السجل رقم 177)) التي بدورها تمثل الوثيقة التاريخية التي من خلالها يُستدلّ على الدور الكبير الذي كانت تمارسه الأوقاف وعن توسع نشاطاتها ايضا.

الشيء الذي خلّص إليه الباحث بشكل واضح، وذلك من خلال البحث في المراجع التاريخية، ومن خلال مراجعة دفاتر المحاسبة للسجلات الشرعية، أن الأوقاف كان لها الأثر الكبير في المجتمعات العثمانية وأن هذا الأثر كان متجليا في مدينة حلب وذلك تبعا للطبيعة التجارية القائمة في المدينة التي دفعت القائمين على الوقف ان يلجئوا للاستثمار في أسواق المدينة لتغطية مصارف الأوقاف وضمان استمراريتها.

حيث تبين من خلال مراجعة دفاتر المحاسبة للسجل الشرعي رقم 177، أن واردات الأوقاف كانت نسبتها الأكبر تأتي من خلال عائدات الاستثمارات في الأسواق التجارية، وأن معظم مصارفها كانت تنفق على الانشاءات والإصلاحات الشيء الذي يؤكد صحة الفرضية التي بُدء بها وهي أن الأوقاف كان لها الأثر الكبير في الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

الكلمات المفتاحية: مدينة حلب، دور الوقف، سجلات المحاكم الشرعية.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على إمام المرسلين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين وبعد:

يُعتبر الوقف الذي هو جزء من التراث الإسلامي الحضاري، واحداً من أهم المؤسسات التي كانت تحمل بجانب أصلها كعمل خيري أريد به ثواب الله تعالى، كانت تحمل أثرا اقتصاديا واجتماعيا واسع الانتشار عبر تاريخ دول الخلافة الإسلامية، وصولا إلى الدولة العثمانية التي أعطت للأوقاف دورا كبيرا في الحياة الاجتماعية العثمانية، حتى بات الوقف يلعب دورا أساسيا وديفا لمؤسسات الدولة في ظل الامبراطورية العثمانية، لقد نجح العثمانيون عبر تاريخ حكمهم من تطوير فكرة الوقف وجعله يلعب دورا أساسيا في الحياة الاجتماعية وديفا لمؤسسات الدولة وإخراجه من كونه عملا خيريا فحسب إلى التأثير الاجتماعي والاقتصادي وذلك من خلال العمل المؤسساتي، وبات إحدى مؤسساتها العملاقة التي لها مشاريعها الخاصة، وخططها القصيرة والبعيدة المدى، ولربما هذا ما جعل العديد من مؤسسات الوقف العثمانية وفي أنحاء متفرقة من الجغرافية العثمانية تستمر إلى يومنا الحاضر.

- وفي معرض الحديث عن انتشار الوقف عبر امتداد الجغرافية العثمانية تم أخذ مدينة حلب كنموذج عن أثر الوقف في تطوير المدن. فمدينة حلب التي تُعتبر بالإضافة إلى أصلاتها كواحدة من أقدم المدن في التاريخ الإنساني وإلى موقعها الجغرافي المهم

على طريق الحرير، فإنها كانت في العهد العثماني تعتبر ثالث أهم مدينة بعد العاصمة إسطنبول والقاهرة، وفي الوقت نفسه تعتبر مدينة الأوقاف الثانية بعد اسطنبول وذلك من حيث عدد الأوقاف وتنوع نشاطاتها وأهميتها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية،

- إن وثائق المحكمة الشرعية تأخذ موقعا مميزا بين مجموعة الوثائق التي يمكن أن يستند إليها الباحثون عن الأرقام والاحصاءات في مجال التاريخ العثماني، فهي تمتاز باتساع اختصاصاتها لتشمل جميع نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وذلك نظرا لاتساع صلاحيات الحاكم الشرعي.

- إن دراسة سجلات المحاكم الشرعية وفي الأخص دفتر المحاسبة لأوقاف مدينة حلب هو الباب الذي ننقل من خلاله الكلام النظري حول دور الأوقاف ومدى تأثيره في البنية الاجتماعية والاقتصادية العثمانية إلى الجانب العملي التطبيقي، حيث تم من خلال هذه الدراسة مراجعة دفاتر المحاسبة للأوقاف الواردة في السجلات الشرعية لأوقاف مدينة حلب، ومن ثم تحليلها بطريقة احصائية وذلك من خلال جدولتها إلى جداول نفقات وواردات والتعليق عليها، وذلك للوصول إلى نشاطات هذه الأوقاف وفعاليتها الاقتصادية والاجتماعية.

- إشكالية البحث.

تكمن إشكالية البحث في الجواب عن السؤال هل المؤسسات الوقفية قادرة على تطوير المدن، وممارسة دور اجتماعي واقتصادي حقيقي فيها؟.

- فرضيات البحث.

يقوم البحث على فرضية أن الوقف الإسلامي بما يمتلكه من أدوات، قادر على ان يماس دورا رياديا في المجتمع.

- أهمية البحث.

تكمن أهمية هذا البحث من خلال التعريف بأهمية الوقف في الدولة العثمانية وكذلك أهمية مدينة حلب تاريخيا وخاصة في الدولة العثمانية، وكذلك الحديث عن أوقافها ونشاطاتها وذلك من خلال سجلات المحاكم الشرعية للمدينة، وخاصة أن هذه الأوقاف ونشاطاتها المتنوعة لم تنل حظها من الدراسة والتقييم فكان من المهم بكان دراسة الأثر الاجتماعي والاقتصادي للأوقاف في مدينة حلب بالاستناد إلى دفتر المحاسبة في سجلات المحكمة الشرعية لأوقاف مدينة حلب.

- منهجية البحث.

من أجل أن يحقق البحث أهدافه سيتم اختيار الأسلوب التحليلي الوصفي. وذلك من خلال اعتماد أسلوب البحث الأكاديمي الذي يعتمد على المراجع والمصادر المتنوعة، وفي مقدمتها سجلات المحاكم الشرعية والتي تُعتبر بوابة الباحثين لمثل هذه الأنواع من الدراسات التاريخية المتعلقة بالأوقاف، ومن ثم يتم من خلالها التحليل لقبول فرضية البحث أو ردها.

- خطة البحث.

من أجل الإجابة على إشكالية البحث، فإنه يتكون من مقدمة وثلاثة مباحث: ففي المبحث الأول كان لابد من التحدث بشكل موجز عن مفهوم الوقف وأهميته في الدولة العثمانية، وفي المبحث الثاني يتم الحديث عن مدينة حلب تاريخيا، ودورها الاقتصادي في الدولة العثمانية، وفي المبحث الثالث سوف يتم فيه تقييم نفقات وواردات أوقاف مدينة حلب من خلال مراجعة سجلات محاسبة المحكمة الشرعية للمدينة في القرن ال 19، وينتهي البحث بخاتمة تتضمن أهم ما توصل إليه البحث.

المبحث الأول: الوقف وأهميته في الدولة العثمانية.

هنالك عبارة يتناقلها الباحثون في مجال الأوقاف في الدولة العثمانية وهي أنه "وبفضل تطور مؤسسات الأوقاف فإن الفرد يمكن أن يولد في بيت من بيوت الأوقاف، وينام ويأكل في مؤسسة وقفية، ثم يحصل على تعليمه من خلال كتب موقوفة، ثم يصبح مدرسا في مدرسة وقفية ويحصل على راتب من ريع الأوقاف، وحينما يتوفاه الأجل يكفن من مال الوقف ثم يدفن في مقبرة من مقابر الأوقاف، وبإيجاز فإن الفرد كان يمكنه أن يحقق كافة احتياجاته عن طريق السلع والخدمات التي يؤمنها الوقف".⁽²⁾

هذه العبارة تلخص الحال الذي كانت عليه واحدة من أقدم المؤسسات التي عرفت البشرية، ألا وهي الأوقاف وخاصة في العهد العثماني، حيث شهد مفهوم الوقف وأنواعه خلال الفترة العثمانية تطورا كبيرا لم يُرى مثيل له من قبل، حيث تم تحويل مفهوم الوقف لينتقل من مجرد عمل يراد به رضا الله والخير والإحسان، إلى مفهوم المؤسسة الاجتماعية والاقتصادية التي تقوم بدور رديف لمؤسسات الدولة الرسمية وتمارس دورا فعالا في خلق فرص العمل، ومحاربة البطالة، ودعم التجار وأصحاب الحرف، وصغار الكسبة، ومساهمات عديدة في مجال الصحة والتعليم وغير ذلك من مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية المختلفة، فقد شملت الأوقاف معظم مصادر الثروة الاقتصادية في العهد العثماني: كالأراضي الزراعية، والدور، والدكاكين، والمعاصر، والحمامات، والمدايح، والطواحين، والأفران، ومخازن الغلال، والسفن التجارية والنقود.

إن فكرة الوقف التي تعني تنمية قطاع ثالث متميز عن كل من القطاع الحكومي، والقطاع الخاص، والأخذ على عاتق هذا القطاع النهوض بمجموعة من الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية التي لا تتضمن الممارسة السلطوية للدولة كما في القطاع الحكومي ولا تكون هذه الأنشطة مركزة على فكرة الربح فقط كما في القطاع الخاص.

فكون أنشطة الوقف تدخل في إطار الخير والبر والتعاون، الأمر الذي وسع رقعة الأوقاف الإسلامية وزاد في آثارها الاقتصادية والاجتماعية خاصة في الدولة العثمانية التي راج فيها الوقف بشكل كبير لم يشهد له مثيل في تاريخ الوقف الإسلامي، وكان لسلطين الدولة العثمانية وعائلاتهم الدور الكبير في ذلك عندما كانوا يقومون بتحويل قسم من أموالهم ويوقفونها في وجوه البر والخير واقتدى بهم عامة الشعب، فبات الوقف موروثا اجتماعيا في الدولة العثمانية حكومة ورعايا ليطال كل مجالات الحياة و أصبح الوقف مؤسسة رديفة لمؤسسات الدولة في الإمبراطورية العثمانية لها التأثير الأكبر على حياة الناس الاقتصادية والاجتماعية.

ففي ولاية الأناضول وبحسب النتائج التي توصل إليها (Ömer Lütfi Barkan) في حساباته التي قام بها بين عامي (1530-1540) فإن 17% من المداخل العامة للناس في ولاية الأناضول، مصدرها هو الوقف بينما في روملي واسطنبول وما يحيط بها وجنوب بلغارستان ومقدونيا فإن هذه النسبة تصل إلى 32% أيضا من الدخل العام فإن مصدره هو الوقف.⁽³⁾

- تاريخ الوقف وصولاً إلى الدولة العثمانية.

تعتبر الأوقاف واحدة من أقدم المؤسسات التي عرفت البشرية عبر عصورها المتعاقبة، فلقد سجل القرآن الكريم أن أول وقف ديني جعل للبشرية جمعاء ألا وهو البيت الحرام (الكعبة المشرفة) فقال تعالى ((إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدياً للعالمين)) (آل عمران، 96)، فيكون المسجد الحرام هو أول وقف عرفته الإنسانية.⁽⁴⁾

ولقد عرف اليونانيون والصينيون والرومانيون وغيرهم من الشعوب وقف الأماكن للعبادة، وكانت هذه الأوقاف عبارة عن أراض وأبنية مخصصة لممارسة العبادة والطقوس والنسك الدينية الخاصة بهم، ولقد تطور مفهوم الوقف عند بعض المجتمعات ليشمل مناحي أخرى من الحياة، حيث عرف المصريون القدماء نوع جديدا من الأوقاف لم يكن قائما قبلهم، يتمثل هذا النوع الجديد

⁽²⁾ Arsebük, Celal Esad, Medeni Hukuk I: Başlangıç ve Şahsın Hukuku, İstanbul 1938, s. 298.

⁽³⁾ Lütfi Barkan, Ömer, "Osmanlı İmparatorluğu'nda İmaret Sitelerinin Kuruluş ve İşleyişi Tarzına Dair Araştırmalar", İktisat Fakültesi Mecmuası, Cilt 23, Sayı 1-2, 1962-3, İstanbul: 1962, s.242.

⁽⁴⁾ قحف، منذر، الوقف الإسلامي تطوره إدارته وتنميته، الطبعة الأولى، دار الفكر دمشق، 2000م، ص 19.

بأراض زراعية خصصها بعض الأغنياء والمتنفذين، ليم استثمارها زراعياً، وتوزيع ناتجها على الكهنة إما لاستهلاكهم أو استعمالهم الشخصي وسداد نفقات دور العبادة أو توزيعها على الفقراء والمحتاجين، وهنا يمكن القول بأن هذا النوع من الأوقاف كان النواة الأولى لنوع جديد من الأوقاف يمكن أن يطلق عليه (الأوقاف الاستثمارية).⁽⁵⁾

وفي عهد الإسلام ومع بدايته الأولى كدولة مستقرة، حث النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى توقيف المنافع في سبيل الخير والإحسان، حيث بدأ الوقف في العصر الإسلامي وذلك ببناء مسجد قباء أول مسجد في الإسلام ليكون مكان عبادة وتشاور وتبادل المنافع بين المسلمين ليكون بذلك أول وقف ديني في الإسلام وكذلك تحدثنا كتب التراث الإسلامي، عن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحث أصحابه على إنشاء الأوقاف وتسبيل منافعها لخدمة المسلمين وبعدهم بأجر كبير في الجنة مقابل ذلك فيقوم عثمان بن عفان بشراء بئر روم من اليهودي الذي كان يبيع الماء للمسلمين بأسعار باهظة، ويوقفه لفقراء المسلمين⁽⁶⁾.

ومن ثم جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ليستأن له في خيبر بعد أن أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم، لفعل ذلك بأن يحبس أصلها ويجعل خيراتها للفقراء والمساكين، ((ولم يبق بعد ذلك بيت من الصحابة إلا وفيه من أوقف أرضاً أو عقاراً))⁽⁷⁾

ومن ثم انتشر الوقف بشكل كبير في الدول الإسلامية المتعاقبة على حمل راية الخلافة وصولاً إلى الدولة العثمانية، التي أولت للأوقاف اهتماماً كبيراً وزادوا عليها، وهذا ما توثقه المعلومات الواردة في دفاتر التحرير العثمانية (طابو تحرير دفتر لري) وسجلات المحكمة الشرعية في العديد من المدن، ففي دفتر التحرير العثماني رقم (522) وحده، وفي السنوات الثلاثين الأولى، نجد ثلاثة عشر إدخالاً لأوقاف مختلفة، عامة وخاصة، وفتت على مؤسسات (مكاتب "كنايب"، وأربطة، ومساجد، وترب الخ)⁽⁸⁾.

- مفهوم الوقف:

الوقف لغةً: يعني: الحبس، أو الإمساك⁽⁹⁾. اصطلاحاً: لم يُجمع علماء الفقه على تعريف واحد للوقف، وذلك تبعاً لاختلافهم في بعض التفاصيل المتعلقة بأحكام الوقف⁽¹⁰⁾.

ومن هذه التعريفات:

- ما عرفه الأحناف على أنه "حبس العين على حكم ملك الواقف، والتصدق بالمنفعة على جهة الخير".⁽¹¹⁾
- فيما عرفه الشافعية على أنه "حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع تعرف الواقف وغيره في رقبته، يصرف في جهة خير تقرباً لله تعالى".⁽¹²⁾
- وقد عرفه المالكية بأنه "جعل المالك منفعة مملوكة، ولو كان مملوكاً بأجرة، أو جعل غلته كدراهم، لمستحق بصيغة مدة ما يراه المحبس".⁽¹³⁾

⁽⁵⁾ المرجع السابق، ص 18.

⁽⁶⁾ البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، 1993م، الحديث رقم 2778.

⁽⁷⁾ المصدر السابق، رقم الحديث 2772.

⁽⁸⁾ قطناني، عبير، المؤسسات الوقفية في العهد العثماني، مجلة دراسات بيت المقدس، 2017م، (17) 1، ص 75.

⁽⁹⁾ الزبيدي الحنفي، محب الدين، دراسة وتحقيق على شيري، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.

، 1994م، المجلد الثامن، ص: 234.

⁽¹⁰⁾ يونس المصري، رفيق، الأوقاف فقهاً واقتصاداً، دار المكتبي، الطبعة الثانية، 1999م، ص: 42.

⁽¹¹⁾ الزحيلي، وهبة، الوصايا والوقف في الفقه الإسلامي، دار الفكر المعاصر، الطبعة الثانية، 1996م، ص: 137.

⁽¹²⁾ الرملي، شمس الدين بن أحمد، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج من الفقه على مذهب الإمام الشافعي، الجزء الخامس، مكتبة ومطبعة مصطفى

البادي، 2 القاهرة، 1997م، ص: 358.

⁽¹³⁾ الشربيني، الخطيب، مغني المحتاج شرح المنهاج، الجزء الثاني، مطبعة البابي الحلبي، مصر، (بدون تاريخ)، ص 135.

- وجاء تعريف الوقف عند ابن قدامة الحنبلي بقوله: "تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة" (14). هذا التعريف الذي استنبط من قول رسول الله لعمر بن الخطاب عندما أشار إليه بوقف بستان خبير فقال (أحبس أصله وسيل ثمره) (15)، والملاحظ من هذا التعريف أنه جاء عاما من غير قيود وفيه خروج من الخلاف الأمر الذي دفع العديد من الفقهاء المعاصرين لتبني هذا التعريف (16).
- أما اقتصاديا الوقف هو: (تحويل للأموال عن الاستهلاك واستثمارها في أصول رأسمالية استثمارية، تنتج المنافع والإيرادات التي تستهلك في المستقبل، جماعيا أو فرديا) (17).
- أهمية الوقف في الدولة العثمانية (مدينة حلب نموذجا).

إنّ الكلام السابق ذكره المتعلق بالتأثير الاقتصادي الكبير للوقف في الدولة العثمانية لم تكن منحصرة في منطقة جغرافية معينة فحسب، بل امتدت لتشمل كافة أنحاء الدولة العثمانية، ولكن كان لمدينة حلب الحظ الأكبر من هذه الثقافة (ثقافة الوقف)، حيث كان الوقف سببا رئيسيا لتطور المدينة على كل الأصعدة وبالأخص من الناحية العمرانية والاقتصادية.

حيث تضاعف حجم المدينة في أقل من نصف قرن (1544-1583) بفضل المنشآت الوقفية التي بناها الولاة المتعاقبون عليها وفي الأخص ثلاث ولاة (خسرو باشا، محمد باشا دوكاجين، وبهرام باشا) (18).

الشيء الذي ربط مدينة حلب بالوقف إلى الحد الذي اشتهرت فيه حلب باسم (حلب الوقف) (19).

فبفضل الأوقاف التي بنيت في القرن الأول للحكم العثماني في حلب وبفضل الأسواق المبنية من خلال هذه الأوقاف تضاعف الحجم التجاري لمدينة حلب، وفقا لدفاتر الضرائب المختلفة لمدينة حلب فعلى سبيل المثال كانت الأقمشة الإفرنجية تدر في السنوات الأولى للحكم العثماني (1520م) 520 أقة فقط، بينما ارتفع هذا المبلغ بشكل مهول إلى 200 ألف أقة بعد أقل من 20 عاما من الحكم العثماني (1537م) (20).

أدى التوسع العمراني والتجاري في مدينة حلب بفضل الأوقاف إلى أن تكون مدينة حلب مقصدا وسوقا تجاريا عالميا تباع فيه مختلف الأصناف، فقد حملت القوافل القادمة من بغداد والبصرة منتجات اليمن والهند والشرق الأقصى من البن والتوابل والأدوية والأصبغة، وحملت القوافل القادمة من ديار بكر والموصل الأصبغة الحيوانية والنباتية لتباع في حلب إلى التجار الأوروبيين الذين كانوا يشحنون البضائع بحرا عن طريق مرفأ إسكندرون، كان البيع يتم بمقايضة هذه البضائع بأقمشة صوفية أوروبية ودفع الفرق بالنقد الفضي الأوربي، كانت حلب تصدر إلى أوروبا فائض إنتاجها من القطن والحبر والحبوب والمنسوجات الحريرية والقطنية والتبغ (21).

أدى انفتاح حلب على الأسواق الأوروبية إلى نشاط صناعي في إنتاج الأقمشة التي كانت تشكل الصادرات الأساسية، فظهر نوع جديد من الإنشاءات منها (22):

(14) ابن قدامة، أبو محمد عبد الله بن أحمد، المغني، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار حجر، الطبعة الثانية، القاهرة- 3 مصر-، 1992م، ص: 18

(15) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، مرجع سابق، باب: الوقف كيف يكتب، الجزء الرابع، ص 14

(16) حماد، نزيه، معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرن-فرجينيا- الولايات المتحدة الأمريكية 1995، ص 353.

(17) الفحف، منذر، الوقف الإسلامي تطوره إدارته وتنميته، مرجع سابق، ص 66.

(18) ريمون، أندريه، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة لطيف فرج 167، 166، القاهرة، 1991م.

(19) أرناؤوط، محمد، الوقف في العالم الإسلامي ما بين الماضي والحاضر، جداول للنشر بيروت، لبنان، طبعة الأولى ص 268.

(20) ساحلي أوغلو، خليل، تغير طرق التجارة (المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام)، دمشق، 1980م، 1/144.

(21) الرفاعي، محمود فيصل، حلب بين التاريخ والهندسة، معهد التراث العلمي العربي، حلب، 1996م، ص 61، 62.

(22) المرجع السابق، ص 62.

- القيسارية: وهو مصنع يضم ورشات صناعية وخاصة صناعة النسيج ويلحق بالخان أحيانا قيسارية فهو خان وقيسارية، وقد تم بناء القيساريات ليببت فيها العمال والصناع وذلك من أجل تلبية حاجة تصدير الأقمشة إلى أوروبا.
- الكارخانة: وهو اسم البناء الذي يحوي معامل طبع الأقمشة التي كانت تلحق بالقيسارية.

وفي ذلك الوقت أصبح كما يشير أندريه ريمون، الخان أو القيسارية يمثلان مؤشراً موثقاً للأنشطة الاقتصادية في أي مدينة بالشرق (23) ، إذ كانت الخانات تمثل قاعدة الحياة التجارية، ولم يكن في الإمكان تصور التجارة في ذلك الوقت بدون الخانات أو القيساريات، وهكذا بينما كانت حلب لا تملك سوى 3-4 خانات في نهاية الحكم المملوكي نجد أنه خلال نصف قرن من الحكم العثماني بنيت حوالي عشر خانات كبيرة، ثم نشأت لاحقاً عشرات الخانات الأخرى وقيساريات كثيرة تتجاوز المئة (24) وبالإضافة إلى الخانات والقيساريات لدينا مؤشر آخر مهم على ازدهار الحياة التجارية، ألا وهو الأسواق المركزية التي تحتوي كل واحدة على مجموعة من الدكاكين المتخصصة في سلع معينة التي جعلت حلب تتفوق بها على أية مدينة أخرى في المشرق وتنافس إسطنبول ذاتها (25)، حتى أصبحت حلب تدعى في القرن السادس عشر (السوق الرئيسية لكل الشرق) (26) .

المبحث الثاني: مدينة حلب ودورها الاقتصادي في الدولة العثمانية.

حلب مدينة ليست كسائر المدن، أحجار شاهدة على أولى الحضارات الإنسانية وعلى الكثير من الحضارات المنقرضة في دفتار التاريخ، مع تنوع ثقافي وتعددية دينية وتعايش حضاري قل مثيله، بالإضافة إلى موقع جغرافي جعل من هذه المدينة عقدة تجارية ومركز اقتصادي وسوق كبير يتلخص في أسواقها ومنتجاتها وخيراتها.

إنّ مدينة حلب التي كانت شاهدت على حضارات عدة كالسومريين والاكاديين والبابليين والاشوريين والكلدانيين والإغريق ومن ثم الروم البيزنطيين وصولاً إلى الحكم الإسلامي، لتأخذ دوراً فاعلاً ومهماً في مختلف مراحل الدول المتعاقبة على حمل راية الخلافة الإسلامية.

- مدينة حلب تاريخياً:

فيعتقد الكثير من العلماء أن استيطان المنطقة التي تقوم عليها مدينة حلب يعود إلى سبعة آلاف سنة قبل الميلاد، فقد شهد تل العقبة الاستيطان في الألف الثاني قبل الميلاد وسكنت منطقة المغاير قبل ذلك بآلاف السنين (27) ، فقد عاصرت مدينة حلب تاريخياً مدناً مثل نينوى وبابل ومفيس وماري وأوغاريت وإيبلا وأور وأفامية و كركميش وقد زالت تلك المدن وبقت مدينة حلب صامدة شامخة بتاريخها وعراقتها وكونها مركزاً للتجارة العالمية عبر تاريخ الزمان، بالرغم من نكبات الزمان والزلازل المدمرة التي تعاقبت عليها (28).

(23) ريمون، المدن العربية الكبرى، مرجع سابق، ص187.

(24) Dr. Hasan Kaleši, Najstariji vakufski dokumenti u arapskom jeziku u Jugoslaviji, priština, 1972, s13 14.

نقلاً عن كتاب الوقف في العالم الإسلامي بين الماضي والحاضر، محمد ارناؤوط، مرجع سابق، ص122.

(25) MASTERS, Bruce, He Origins of Western Economic Dominance in The Middle East, Mercantilism and Islamic Economy In Aleppo, 1600-1750 New York University Studies, 1988, New York, P126.

(26) ساحلي أو غلو، خليل، تغير طرق التجارة، مرجع سابق، 144/1.

(27) هلال، فواد، غرفة تجارة حلب (الحياة الاقتصادية في حلب وسورية)، نشرات غرفة تجارة حلب، عام 2005، ص 45، 46.

(28) المرجع السابق، ص20.

لا يوجد نص أو دليل تاريخي قاطع على أصل تسمية مدينة حلب، غير أنّ اسم مدينة حلب ورد في رُقم مملكة إيبلا باسم (أرمان) كما ورد اسمها (حلبا) في رُقم ماري (1750 ق.م)، وقيل أنّ كلمة حلب تعني في اللغة العمورية معادن الحديد والنحاس أما في الآرامية فهي محرفة من (حلبا) والتي تعني البياض نسبة إلى بياض تربتها وحجارتها، وقيل إن معنى تسميتها هو ما ذكره الاسدي أنها كلمة مركبة من (حل- لب) أي مكان التجمع⁽²⁹⁾.

أما أكثر الروايات شيوعاً حول أصل مدينة حلب فهي الرواية المتعلقة بالنبي إبراهيم (عليه السلام) أنه كان يخيم في مرتفع الحصن الذي أصبح بعد ذلك قلعة، وكان يحلب بقرته الشهباء اللون ويتصدق بحليبها على الفقراء والمحتاجين، اللذين كانوا يقولون حلب الشهباء⁽³⁰⁾، وقد ذكر ابن العديم أنّ إبراهيم الخليل عندما أراد الرحيل عن حلب التفت إليها التفات الحزين الباكي المفارق لوطنه داعياً: (اللهم طيب ماءها وثرأها وهواءها وحبيبها لأبنائها)⁽³¹⁾.

ويستشعر استجابة دعوة إبراهيم الخليل كل من سكن حلب وترى فيها أو عاش فيها ولو لمدة يسيرة فيقع في حبها، ومن ثم إذا أُرِدَ فراقها فهو يشعر بالحزن والألم ويعز عليه ذلك الفراق.

وقد تأثر العديد من المفكرين والأدباء والشعراء والرحالة بمدينة حلب تأثراً شديداً، وراحوا يمتدحون جمالها وهيبته ومناخها وسمو ونبل أهلها، وهنا نستعرض الشيء اليسير عما عبر عنه بعض الشخصيات التاريخية:
- ابن بطوطة:

"حلب من أعز البلاد التي لا نظير لها في حسن الوضع وإتقان الترتيب واتساع الأسواق وانتظام بعضها ببعض وأسواقها مسقفة بالخشب فأهلها دائماً في ظل ممدود وقيساريته التي لا تماثل حسنة وكبرة وهي تحيط بمسجدها وهي من المدن التي تصلح للخلافة"⁽³²⁾.

- الإنجليز الرحالة ألكسندر روسل:

"تعدّ حلب، إحدى المدن الأم في سوريا اليوم، والمدينة الثالثة من حيث الأهمية في الأراضي الخاضعة للسلطنة العثمانية. فهي من حيث موقعها، وعظمتها، وكثافة سكانها ووفرة ثرائها، دون القسطنطينية والقاهرة، ولكن وإن لم تكن تضاهي في فخامتها تلك التي كانت سائدة في بلاط كل من هاتين المدينتين، فإن ما تمتاز به من هواء عذب عليل صحي، ومن متانة وأناقة طبعت أبنيتها الخاصة، ومن ملائمة وترتيب ونظافة ميزت شوارعها، جعل منها أهم شأناً من الإثنتين"⁽³³⁾.

- الرحالة الفرنسي فولني (القرن ١٨):

"قد تكون حلب أنظف مدينة في السلطنة العثمانية وأجملها بناءً، وأطفها عشرة وأصحها مناخاً والحلبيون هم أكثر أهل السلطنة تمدناً"⁽³⁴⁾.

- الأهمية الاقتصادية لمدينة حلب:

لقد شكل الموقع الجغرافي لمدينة حلب والذي يعتبر نقطة وصل بين قارات العالم الثلاث (آسية – أوروبا- أفريقيا)، أهمية تجارية واقتصادية كبيرة لهذه المدينة وجعلها وسيطاً تجارياً تاريخياً بين الشرق والغرب.

⁽²⁹⁾ صواف، صبحي، أقدم ما عرف تاريخ حلب، ص 7 ص 8، طبعة مكتبة الضاد 1952.

⁽³⁰⁾ المرجع السابق، ص 8.

⁽³¹⁾ ابن العديم، كمال الدين، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج 1، دار الفكر بيروت، 1988م، ص 28.

⁽³²⁾ الطنجي، محمد بن عبد الله (ابن بطوطة)، تحفة النظار في غرائب الأمصار، دار الكتب العلمية بيروت، صفحة 89.

⁽³³⁾ Russel, Alexander, The Natural History of Aleppo, p 1-2, part1, London, 1794.

⁽³⁴⁾ السيوفي، حبيب، سوريا ولبنان وفلسطين في القرن التاسع عشر، المطبعة المخرصة، دير المخلص لبنان، 1942م، ص 112.

ففي عهد الإسكندر المقدوني وإمبراطوريته المترامية الأطراف، احتلت مدينة حلب مكانة تجارية كبيرة حيث أن الحركة التجارية في هذه الفترة كانت مفتوحة بلا قيود أو حدود أو معاملات مفروضة على نقل البضائع وتنقل الأفراد، وأثبتت التنقيبات الأثرية والأبحاث التاريخية، أن مملكة يمحاض (حلب) قد عقدت مع مملكة ماري في القرن ١٣ ق.م اتفاقية تجارية لتصدير البضائع ونقلها من حلب إلى مرفأ إيمار على نهر الفرات (مسكنة على بعد ١٠٠ كم) ومنه إلى ماري (أبو كمال) بالمراكب النهرية⁽³⁵⁾ كما أن حلب عقدت اتفاقيات تجارية مع الحثيين عام ١٣٣٩ ق.م، كما عقدت بعدئذ اتفاقية تجارية مع بيزنطة عام ٩٩٩ م رغم الحروب العربية البيزنطية، وفي العهد الأيوبي وبالرغم من الحروب الصليبية فقد ازداد النشاط التجاري بين حلب والغرب ولم تستطع المراسيم التي أصدرها باباوات روما، والقاضية بمنع التبادل التجاري مع حلب، أن تؤثر على الحركة التجارية المتبادلة، وراحت المدن الإيطالية الواحدة تلو الأخرى ترسل مبعوثيها إلى ملك حلب الأيوبي الظاهر غازي، لعقد الاتفاقيات التجارية معه، فعقدت اتفاقية مع البندقية عام ١٢٠٧ م وجددت في عامي ١٢٢٥ و ١٢٢٩ م⁽³⁶⁾، و بعد فتح حلب عام ١٥١٦ م في عهد السلطان سليم الأول، ودخول حلب في العهدة العثمانية، الأمر الذي شكل نقلة نوعية من الناحية التجارية في تاريخ هذه المدينة، ففي عام ١٥٣٥ وقع السلطان سليمان القانوني مع ملك فرنسا فرنسيس الأول معاهدة أدت إلى تنشيط التجارة بين الدولتين وزيادة تعداد الجالية الفرنسية في حلب⁽³⁷⁾. وجدير بالذكر أن الحروب البيزنطية والفارسية للسيطرة على الطرق، قد أثرت على تجارة حلب ولكنها لم توقف تدفقها، وبقيت مدينة حلب خلال كل هذه العهود كلها على ماهي عليه من تفوق تجاري وإنتاجية اقتصادية لا مثيل لها في تلك العصور، حيث كانت تصلها القوافل التجارية من كل حذب وصوب، محملة بمختلفة البضائع التجارية فيلتقي في مدينة حلب القوافل القديمة من الصين والهند مع القادمة من أوروبا وأفريقيا، لتباع في حلب ومن ثم يعاد تصديرها مع ما ينتج من حلب من صناعات حلبيه تقليدية مختلفة إلى بلدان ومراكز استهلاك في مختلف أنحاء العالم⁽³⁸⁾.

وهكذا ازدادت الأهمية التجارية لمدينة حلب في ظل الدولة العثمانية لتصبح السوق الرئيسية للتجارة في العالم القديم وملتقى لمختلف طرق التجارة العالمية، كطريق الحرير وطرق الشاي والتوابل والمعادن⁽³⁹⁾.

لقد شكل الموقع الجغرافي لمدينة حلب والذي يعتبر نقطة وصل بين قارات العالم الثلاث (آسية – أوروبا- أفريقيا)، أهمية تجارية واقتصادية كبيرة لهذه المدينة وجعلها وسيطاً تجارياً تاريخياً بين الشرق والغرب.

ففي عهد الإسكندر المقدوني وإمبراطوريته المترامية الأطراف، احتلت مدينة حلب مكانة تجارية كبيرة حيث أن الحركة التجارية في هذه الفترة كانت مفتوحة بلا قيود أو حدود أو معاملات مفروضة على نقل البضائع وتنقل الأفراد، وأثبتت التنقيبات الأثرية والأبحاث التاريخية، أن مملكة يمحاض (حلب) قد عقدت مع مملكة ماري في القرن ١٣ ق.م اتفاقية تجارية لتصدير البضائع ونقلها من حلب إلى مرفأ إيمار على نهر الفرات (مسكنة على بعد ١٠٠ كم) ومنه إلى ماري (أبو كمال) بالمراكب النهرية⁽⁴⁰⁾. كما أن حلب عقدت اتفاقيات تجارية مع الحثيين عام ١٣٣٩ ق.م، كما عقدت بعدئذ اتفاقية تجارية مع بيزنطة عام ٩٩٩ م رغم الحروب العربية البيزنطية، وفي العهد الأيوبي وبالرغم من الحروب الصليبية فقد ازداد النشاط التجاري بين حلب والغرب ولم تستطع المراسيم التي أصدرها باباوات روما، والقاضية بمنع التبادل التجاري مع حلب، أن تؤثر على الحركة التجارية المتبادلة، وراحت المدن الإيطالية الواحدة تلو الأخرى ترسل مبعوثيها إلى ملك حلب الأيوبي الظاهر غازي، لعقد الاتفاقيات التجارية معه، فعقدت اتفاقية مع البندقية عام ١٢٠٧ م وجددت في عامي ١٢٢٥ و ١٢٢٩ م⁽⁴¹⁾، و بعد فتح حلب عام ١٥١٦ م في عهد السلطان سليم الأول، ودخول حلب في العهدة العثمانية، الأمر الذي شكل نقلة نوعية من الناحية التجارية في تاريخ هذه المدينة، ففي عام ١٥٣٥ وقع السلطان سليمان القانوني مع ملك فرنسا فرنسيس الأول معاهدة أدت إلى تنشيط التجارة بين الدولتين وزيادة تعداد الجالية الفرنسية في حلب⁽⁴²⁾. وجدير بالذكر أن الحروب البيزنطية والفارسية للسيطرة على الطرق، قد أثرت على تجارة حلب ولكنها لم توقف تدفقها، وبقيت مدينة حلب خلال كل هذه العهود كلها على ماهي عليه من تفوق تجاري وإنتاجية اقتصادية لا

(35) هلال، فؤاد، غرفة تجارة حلب (الحياة الاقتصادية في حلب وسورية)، مرجع سابق، ص 45.

(36) المرجع السابق ص 46-47.

(37) ابن الشحنة، محمد، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، بيروت المطبعة الكاثوليكية ط 1909 م، ص 78.

(38) المرجع السابق ص 80.

(39) سوفاجيه، جان، دراسة توسع مدينة سورية كبيرة منذ نشأتها حتى القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص 189.

(40) هلال، فؤاد، غرفة تجارة حلب (الحياة الاقتصادية في حلب وسورية)، مرجع سابق، ص 45.

(41) المرجع السابق ص 46-47.

(42) ابن الشحنة، محمد، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، بيروت المطبعة الكاثوليكية ط 1909 م، ص 78.

مثيل لها في تلك العصور، حيث كانت تصلها القوافل التجارية من كل حذب وصوب، محملة بمختلفة البضائع التجارية فيلنقي في مدينة حلب القوافل القديمة من الصين والهند مع القادمة من أوروبا وأفريقيا، لتباع في حلب ومن ثم يعاد تصديرها مع ما ينتج من حلب من صناعات حلبيه تقليدية مختلفة إلى بلدان ومراكز استهلاك في مختلف أنحاء العالم⁽⁴³⁾.

وهكذا ازدادت الأهمية التجارية لمدينة حلب في ظل الدولة العثمانية، حيث شهدت مدينة حلب تطورا ونموا عمرانيا، واقتصاديا قل مثيله في أرجاء الدولة العثمانية، لتصبح السوق الرئيسية للتجارة في العالم القديم وملتقى لمختلف طرق التجارة العالمية، كطريق الحرير وطرق الشاي والتوابل والمعادن⁽⁴⁴⁾.

ويقول في وصف الوضع التجاري في مدينة حلب أبن الشحنة في القرن 19م بما يلي:

"اتفاق ما يجلب إلى حلب من البضائع كالحرير والصوف والبرزي والقماش العجمي وأنواع الفراء وسائر الوبر والبضائع الهندية وأجناس الرقيق من الجركس والترك والروم وسائر الأجناس. وأنه قد يتفق أن يباع في يوم واحد مالا يباع في غيرها في شهر، كل ذلك بأطيب ثمن ورغبة، مثلا، إذا أحضر إليها مئة حمل حرير فإنه يباع في يوم واحد ويقبض ثمنه، ولو حضر إلى القاهرة التي هي أم البلاد عشرة أحمال فإنها لا تباع في شهر"⁽⁴⁵⁾.

المبحث الثالث: فعاليات أوقاف مدينة حلب ونفقاتها ومصادر وارداتها من خلال السجل الشرعي رقم 177

- التعريف بالسجلات الشرعية:

إن الأمم والحضارات السابقة عرفت معنى السجل وكان الوسيلة التي يوثقون من خلالها وثائقهم الرسمية من أمور اجتماعية وقضائية وغيره، وتم استخدام السجل كدليل لإثبات القضايا التي تحتاج إلى توثيق، فتم استخدامه لتسجيل النشاطات والمشاكل وغيرها من أمور الدولة ليكون بمثابة المرجع الرسمي للإثبات والمتابعة⁽⁴⁶⁾.

- مفهوم السجلات الشرعية:

السجل كلمة عربية الأصل، وهو الكتاب الكبير الذي يُدون فيه وقد جاء ذكره في القرآن الكريم ((كُتِبَ السِّجْلُ لِلْكَتُبِ)) (سورة الأنبياء: 140)، أما تعريفه فهو أقرب ما يكون من مصطلح الأرشيف لذلك يمكن تعريف السجل بالآتي:⁽⁴⁷⁾

"جمع الكتب والأوراق والخرائط والصور الفوتوغرافية وغير ذلك من المواد الوثائقية التي يُراد حفظها ضمن مؤسسة عامة أو خاصة لأداء التزاماته القانونية"⁽⁴⁸⁾.

وبناء عليه يمكن تعريف السجل الشرعي بأنه "كتاب القاضي الذي يُدون فيه الأحكام والدعاوى الشرعية"⁽⁴⁹⁾.

⁽⁴³⁾ المرجع السابق ص 80.

⁽⁴⁴⁾ سوفاجيه، جان، دراسة توسع مدينة سورية كبيرة منذ نشأتها حتى القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص 189.

⁽⁴⁵⁾ ابن الشحنة، محمد، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، مرجع سابق، ص 78.

⁽⁴⁶⁾ Prof. Dr. Kemal YILDIZ ve Mohamad Bara Hanbali, Dimeşk (Şam) Şer'iyeye Sicillerinin Önemi, Kaynakları ve Dimeşk (Şam) Sicillerinden Abdülmuhsin El-Üstuvânî Örneği, Kocaeli Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi- Kocaeli Theology Journal 4/2 (Aralık/December 2020), s. 421.

⁽⁴⁷⁾ المرجع السابق، ص 421، 422.

⁽⁴⁸⁾ عبد المحسن الشريف، أشرف، الإدارة الحديثة للوثائق التاريخية المعايير والإجراءات، الدار المصرية اللبنانية/ القاهرة، ط1/2011م، ص 27-28.

⁽⁴⁹⁾ رواس قلعة جي، محمد، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، بيروت، ط1، 1996م، ص 215.

وبالتالي أصبحت السجلات الشرعية في الدولة العثمانية بمفهوم الفقهاء تُعرف بأنها:

(ما كان موجهاً إلى قاض آخر، ثم أصبح يُطلق في عرفهم كذلك على الكتاب الكبير الذي تُضبط فيه وقائع الناس). (50)

ولا بد من التنويه على أن الدولة العثمانية نجحت بشكل منقطع النظير من خلال السجلات الشرعية في توثيق تاريخها وحفظها بشكل دقيق.

- أهمية السجلات الشرعية:

تأتي أهمية السجلات الشرعية لكونها تمتاز باتساع اختصاصاتها لتشمل جميع نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وذلك نظراً لاتساع صلاحيات الحاكم الشرعي، فهي تزودنا بمعلومات تاريخية مميزة إذ أنها تسهم في إثبات نظريات تاريخية أو تصحيح مفاهيم خاطئة متعلقة بالمجتمعات العثمانية، مع إمكانية برهنت ذلك بالأرقام والبيانات. ويمكن اختصار أبرز القضايا التي تشملها هذه السجلات على الشكل الآتي: (51)

- **الأمور المتعلقة بالتجار والأصناف والحرف والمهن والاختصاصات** التي كانت قائمة مثل: الحداد، العطار، الحبال، البازارباشي، القزاز، السرج، الدباغ الأكمكي وغيرها الكثير.

الوقفات وهي مهمة جداً في معرفة العديد من الأشياء والخبايا المتعلقة بالأوقاف، وهي تعتبر من أهم المصادر التي يعتمد عليها الباحثون في الدراسات المتعلقة بالأوقاف، فمدينة حلب على سبيل المثال والتي اشتهرت باسم حلب الوقف لشدة تأثيرها بثقافة الوقف بعد خضوعها تحت راية الدولة العثمانية، فقد تضاعفت مساحتها العمرانية خلال نصف قرن (1544، 1583) فخلال هذه السنوات وبفضل المنشآت الوقفية الضخمة التي بناها الولاة والوزراء العثمانيون خلال هذه الفترة (جوامع، مدارس، أسواق، خانات) تضاعف حجم العمران فيها. (52)

وبالتالي يصبح من الطبيعي أن تصبح الوثائق الوقفية واحدة من أهم المراجع التي لأغنى عنها في دراسة تاريخ المدن، وذلك بسبب غياب المصادر الأخرى، أو اختفائها أو نتيجة لخراب المنشآت العمرانية الدالة على ذلك التاريخ نتيجة للخراب أو الدمار الحاصل بسبب الحروب أو الكوارث الأخرى أو نتيجة للتمدن والتحديث السريع.

- **أرقام واردات ونفقات أوقاف مدينة حلب في القرن 19 بحسب السجل الشرعي رقم 177.**

واردات اوقاف مدينة حلب في السجل الشرعي رقم 177

بحسب السجل رقم 177، الذي تواجد فيه واردات 63 وقفا من اوقاف مدينة للأعوام الهجرية من 1227هـ إلى 1231هـ، فإنه وتحت خانة الواردات تم رصد هذه الأنواع من الواردات التي كانت تُغطى من خلالها مصاريف الوقف والتي تم جمعها على الشكل الآتي: وارد الدكاكين والأماكن الصناعية والتجارية، وارد آجار البيوت، مختلف الواردات، واردات الأحكار، واردات المراهبة، وتفصيلها كما في الجدول رقم 1:

(50) محمود عبد الرحمن، عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار الفضيلة مصر، 244/2.
(51) زيادة، خالد، سجلات المحكمة الشرعية (الحقبة العثمانية) المنهج والمصطلح، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، بيروت، 2017، ص 20، 21.
(52) ريموند، المدن العربية الكبرى، مرجع سابق، ص 167، 166.

الجدول رقم 1: قلم واردات السجل الشرعي رقم 177.

قلم الواردات	المجموع بالقروش	%
واردات دكاكين واماكن صناعية وتجارية	52,457.00	51.68%
واردات اجار بيوت	26,176.75	25.79%
مختلف الواردات الاخرى	12,041.25	11.86%
وارد حمامات	7,428.00	7.32%
وارد أحكار	3,211.90	3.16%
وارد مرابحة	198.00	0.20%
	101,512.90	100.00%

المصدر: السجل الشرعي رقم 177.

إنه وبحسب الجدول رقم 1 فإن مجموع واردات الأوقاف الموجودة في السجل الشرعي رقم 177 هي 101,314 قروش.

حيث إن واردات اوقاف مدينة حلب يتشكل القسم الأكبر منها، من عائدات (وارد الدكاكين والأماكن الصناعية والتجارية)، والذي تفصيله جاء في دفتر المحاسبة من هذا السجل على الشكل الآتي: دكاكين، خان وقيسارية، قهوة خان، مصابغ، أفران.

وكان إيرادها مجتمعة 59.885 قروش أي ما يعادل 59.11% من إيرادات الأوقاف كانت نتيجة الاستثمارات التجارية في أسواق المدينة.

بينما جاءت واردات (إيجارات البيوت) في المرتبة الثانية ب 26.176 قروش أي ما يعادل 25.84% من إيرادات السجل.

بينما شكل وارد (مختلف الواردات)، والذي يتألف من مختلف الواردات التي لا تنطوي تحت مسمى معين، او دفعات من قبل اشخاص ليست معروفة، وكذلك مداخيل تشمل الفائض من العام السابق، والأرباح والعوائد الأخرى، وبعض الدفعات التي لم تكن واضحة في الوثيقة، وقد شكلت مجتمعة 12,041 قروش أي ما يعادل 11.88% من إيرادات السجل.

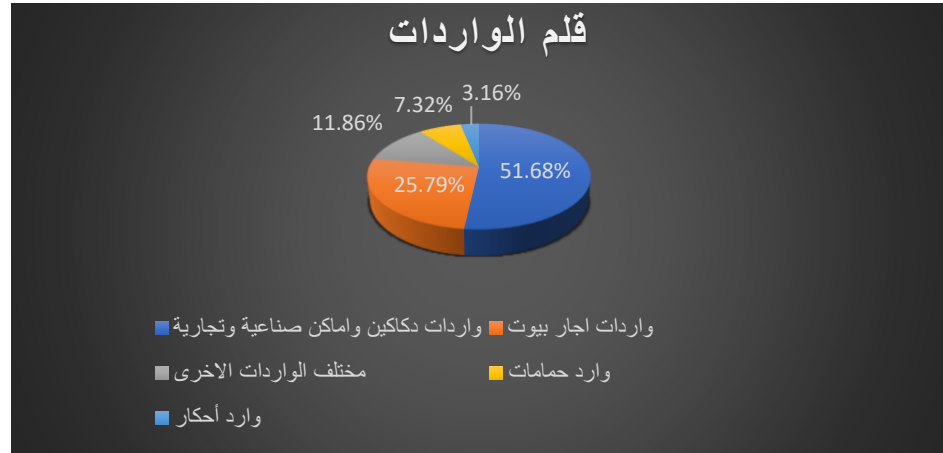
فيما يأتي وارد (الحمامات) رابعا ب 7,428 قروشا، أي ما يعادل 7.32% من مجموع إيرادات السجل. ويأتي وارد الأحكار (مقاطعة) والتي هي: عقد إيجار يُبرم لغرض استغلال قطعة أرض مملوكة للدولة، أو للأوقاف، لفترة طويلة بغرض البناء أو زراعة الأشجار. تُعرف الأوقاف التي لديها مثل هذه العقود بالأوقاف ذات الاحكار يُسمح للمستأجر، بشرط أن تكون مدة العقد طويلة، ببناء منشآت أو غرس أشجار على الأرض المؤجرة. في المقابل، يكون ملزماً بدفع إيجار الأرض للوقف.⁵³

بنيت على أراضي الأوقاف العديد من المباني على نظام الاحكار كالمنازل، والدكاكين، والخانات، والحمامات، وتم دفع إيجار هذه المباني للأوقاف.

ويأتي أخيرا وارد المرابحة والذي يشكل أصغر النسب وقل الواردات مساهمة وذلك لأنه محصور عادة بواردات الأوقاف المالية والتي تأتت من وقف واحد وهو وقف سوقية حاتم وكان مجموعها هو 198 قروش بمساهمة بلغت 0.20%.

⁵³ Akgündüz , Ahmet, İslam Hukukunda ve Osmanlı Tatbikatında Vakıf Müessesesi, Türkiye İş Bankası Kültür Yayınları, Ankara, 1988, s.487.

الشكل 1: قلم الواردات لأوقاف السجل الشرعي رقم 177 ما بين الأعوام (1227هـ، 1231هـ)



المصدر: الجدول رقم 1.

فإنه وكما هو موضح فإن الاشكال البيانية تظهر أن واردات الدكاكين والأماكن الصناعية والتجارية، والتي تشمل (المحلات التجارية، والخانات والقيساريات، والمصابغ، ومعامل الصابون، والقهوة خان)، شكلت ما يقارب الـ 60% من إيرادات الأوقاف في هذا السجل، فيما شكلت واردات إيجارات البيوت الـ 25.84% من واردات السجل، بينما شكلت الواردات المختلفة ما يقارب الـ 12% من الواردات، وتفرقت نسبة أقلام الواردات المتبقية ما بين واردات حمامات وأحكار (مقاطعة)، ومراوحة.

- نفقات أوقاف مدينة حلب في السجل الشرعي رقم 177

إنه وبحسب دفتر المحاسبة رقم 177 فإنه وتحت بند المصارف المذكور في الدفتر 177 تم تسجيل فيه هذه الأنواع من المصارف وهي، التعميرات والإنشاءات، المعاشات والأجور، المصاريف العرفية والضرورية، بهاء زيت، ضريبة عوارض، وغيرها من المصارف الأخرى فتم استخراج مصارف 63 وقفا وذلك من العام 1227 هـ إلى 1231 هـ، وهذا ما سوف يبينه الجدول رقم 2.

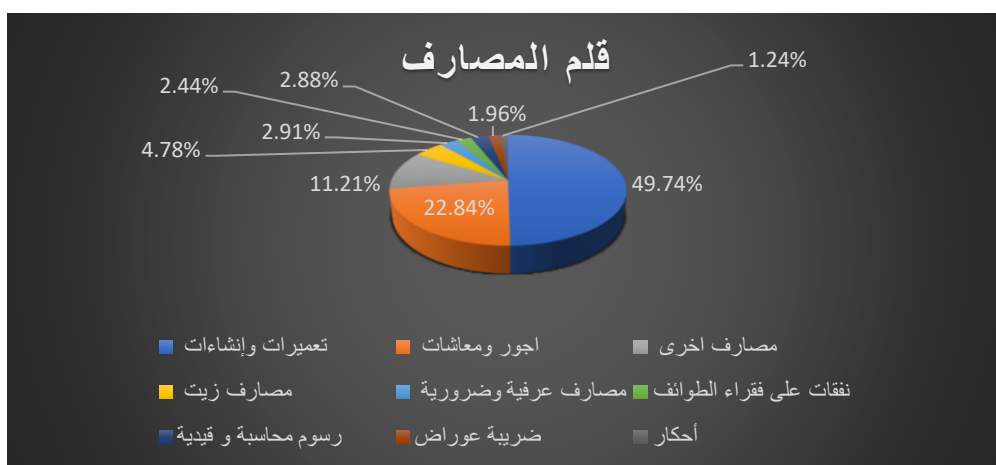
الجدول رقم 2: قلم نفقات السجل الشرعي رقم 177.

قلم المصارف	مجموع المصارف (القروش)	%
تعميرات وإنشاءات	46,746.70	49.74%
اجور ومعاشات	21,463.50	22.84%
مصارف أخرى	10,532.25	11.21%
مصارف زيت	4,496.35	4.78%
مصارف عرفية وضرورية	2,738.75	2.91%
رسوم محاسبة وقيدية	2,704.25	2.88%
نفقات على فقراء الطوائف	2,289.00	2.44%
ضريبة عوارض	1,837.75	1.96%
أحكار	1,166.40	1.24%
	93,974.95	100.00%

المصدر: السجل الشرعي رقم 177.

فكما هو موضح في الجدول رقم 2، فإن مجموع قلم المصارف في الدفتر رقم 177 هي 93,974.95 قروشاً، ومن الواضح بعد مراجعة المصارف الواردة في الجدول رقم 177، تبين أنَّ ما يقارب نصف مصاريف الأوقاف في تلك الفترة الزمنية (1231/1227) كانت تُصرف على الإنشاءات والتعميرات حيث شكل هذا المصروف لوحده تقريب الـ 50 %، وجاء بعده في الترتيب نفقات المعاشات والأجور للعاملين في الوقف وكذلك للموظفين الدينيين حيث شكل مجموع هذه المصارف 22.84%، فيما تم جمع عدد من المصارف الصغيرة مثل: (مصاريف أبريق ودلوة، جوقدارية، حبال، حصر، قناديل، سبيل، مكاس وغيرها) ضمن مصرف واحد وتسميته مصارف أخرى حيث شكلوا 11.21%، ومن ثم مصرف بهاء زيت حيث شكل 4.78%، ومن ثم المصارف العرفية والضرورية بـ 2.91%، ومن ثم رسوم محاسبية وقيدية بـ 2.44%، بينما شكلت النفقات والمبالغ التي تُنفق على فقراء طوائف معينة من غير المسلمين 2.44%، و جاء مصرف العوارض بما يقارب الـ 2%، وأخيراً مصرف أحكار بـ 1.24%

الشكل 2: قلم المصارف لأوقاف السجل الشرعي رقم 177 ما بين الأعوام (1227هـ، 1231هـ)



المصدر: الجدول رقم 2.

بحسب الشكل رقم 2 والذي يعطينا توزيع نسب مصاريف الأوقاف في السجل رقم 177، والبالغ عددها 63 وقفا وذلك ما بين عامي (1227/1231هـ)، وكما هو موضح فإن المصاريف المتعلقة بالتعميرات والإصلاحات والأعمال الإنشائية شكلت بيانياً نسبة 49.74%، فيما جاء النفقات على الموظفين والمعاشات بيانياً 22.84%، أي أن قرابة ثلاثة أرباع نفقات الأوقاف الموجودة في مدينة حلب خلال تلك الحقبة الزمنية كانت ما بين الأعمال الإنشائية والعمارية وما بين أجور الموظفين والقائمين على الوقف والباقي توزع على مختلف النفقات الأخرى.

الخاتمة والنتائج:

- لقد تبين للباحث من خلال ما سبق، أن الدولة العثمانية عنت بالأوقاف بشكل كبير وسمحت لها بأن تمارس دورا كبيرا في الحياة الاجتماعية، مما جعل من المؤسسات الوقفية في الدولة العثمانية تأخذ شكلا وطابعا خاصا مختلفا عما سبقها من الفترات التاريخية، التي كانت تمارس فيه المؤسسات الوقفية نشاطاتها، فأصبحت تأخذ دورا رديفاً للمؤسسات الدولة أكثر من كونها مؤسسات خيرية فحسب.

- لقد كانت مدينة حلب تُمثلُ نموذجاً رائداً عن الدور الكبير الذي من الممكن للأوقاف ان تمارسه، في حال نالت المؤسسات الوقفية حظها من الحماية والعمل بحرية، فقد تغيرت خارطة المدينة العمرانية بفضل المنشآت الوقفية، حتى بات يُطلق على المدينة باسم حلب الوقف.
- إن أرقام واردات ونفقات دفاتر المحاسبة للسجلات الشرعية لمدينة حلب (السجل رقم 177)، أثبتت الدور الكبير الذي كانت تمارسه الأوقاف في مدينة حلب، وذلك من خلال الاستثمارات الكبيرة التي كانت تقوم بها سواء من خلال إنشاء أسواق جديدة، أو من خلال الاستثمار في الأسواق القائمة في المدينة، وكذلك من خلال إنفاق معظم الواردات على الإصلاحات والانشاءات الجديدة.
- لا بد من زيادة الاهتمام والدراسات التي تتعلق بتاريخ الأوقاف وبالنماذج الوقفية التاريخية، ومن هذه المراجع سجلات المحاكم الشرعية وغيرها من الوثائق التاريخية المتعلقة بالأوقاف، والتي تحتوي في طياتها على نماذج ومعلومات قيمة ومهمة تساعدنا على تنمية العمل الوقفي وتطوير المؤسسات الوقفية في عصرنا الحاضر، حتى نعيد للوقف دوره التنموي والرائد في المجتمع.

والحمد لله في بدء وفي ختم.

المصادر والمراجع.

أولاً: المراجع العربية:

- 1- القرآن الكريم.
- 2- ابن الشحنة، محمد، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ط1، 1909م.
- 3- ابن العديم، كمال الدين، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، دار الفكر بيروت، 1988م.
- 4- ابن قدامة، أبو محمد عبد الله بن أحمد، المغني، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار حجر، الطبعة الثانية، القاهرة- 3 مصر-، 1992م.
- 5- أرناؤوط، محمد، الوقف في العالم الإسلامي ما بين الماضي والحاضر، جداول للنشر بيروت، لبنان، طبعة الأولى 1999م.
- 6- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، 1993م.
- 7- الرملي، شمس الدين بن أحمد، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج من الفقه على مذهب الإمام الشافعي، الجزء الخامس، مكتبة و مطبعة مصطفى البادي، 2 القاهرة، 1997م.
- 8- ريمون، أندريه، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة لطيف فرج، القاهرة، 1991م.
- 9- الزبيدي الحنفي، محب الدين، دراسة وتحقيق علي شيري، تاج العروس من جواهر القاموس، دار 3 الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان-، 1994م.
- 10- زيادة، خالد، سجلات المحكمة الشرعية (الحقبة العثمانية) المنهج والمصطلح، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، بيروت، 2017.
- 11- ساحلي أوغلو، خليل، تغير طرق التجارة (المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام)، دمشق، 1980.
- 12- الشربيني، الخطيب، مغني المحتاج شرح المنهاج، الجزء الثاني، مطبعة البابي الحلبي، مصر، (بدون تاريخ).
- 13- صواف، صبحي، أقدم ما عرف تاريخ حلب، طبعة مكتبة الضاد، 1952م.
- 14- الطنجي، محمد بن عبد الله (ابن بطوطة)، تحفة النظار في غرائب الأمصار، دار الكتب العلمية بيروت، بدون تاريخ.
- 15- عبد المحسن الشريف، أشرف، الإدارة الحديثة للوثائق التاريخية المعايير والإجراءات، الدار المصرية اللبنانية/ القاهرة، ط1/2011م.

- 16 الرفاعي، محمود فيصل، حلب بين التاريخ والهندسة، معهد التراث العلمي العربي، حلب، 1996م.
- 17 قحف، منذر، الوقف الإسلامي تطوره إدارته تنميته، ص19، الطبعة الأولى، دار الفكر دمشق، 2000م.
- 18 قطناني، عيبر، المؤسسات الوقفية في العهد العثماني، مجلة دراسات بيت المقدس، 2017م.
- 19 محمود عبد الرحمن، عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار الفضيلة مصر، بدون تاريخ.
- 20 يونس المصري، رفيق، الأوقاف فقهاً و اقتصاداً، دار المكتبي، الطبعة الثانية، 1999م.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

KAYNAKÇA

- AKGÜNDÜZ, Ahmet, İslam Hukukunda ve Osmanlı Tatbikatında Vakıf Müessesesi, Türkiye İş Bankası Kültür Yayınları, Ankara, 1988.
- ARSEBÜK, Celal Esad, Medeni Hukuk I: Başlangıç ve Şahsın Hukuku, İstanbul 1938.
- BARKAN, Ömer Lütfi, “Osmanlı İmparatorluğu’nda İmaret Sitelerinin Kuruluş ve İşleyişi Tarzına Dair Araştırmalar”, İktisat Fakültesi Mecmuası, Cilt 23, Sayı 1-2, 1962-3, İstanbul: 1962.
- MASTERS, Bruce, The Origins of Western Economic Dominance in the Middle East: Mercantilism and the Islamic Economy in Aleppo, 1600-1750 (New York University Studies), 1988.
- RUSSEL, Alexander, The Natural History of Aleppo, part1, 1794, London.
- YILDIZ, Kemal ve Mohamad Bara Hanbali, Dimeşk (Şam) Şer’iyye Sicillerinin Önemi,Kaynakları ve Dimeşk (Şam) Sicillerinden Abdülmuhsin El-Üstuvânî Örneği, Kocaeli Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi Kocaeli Theology Journal 4/2 (Aralık/December 2020)